دابته فقال له يا نذل نحن فى الحرب وانت بهذه الحالة فقال ايها الملك انما بلغت هذا السن بالتوقى

انا المحصون من كتب المغازى اذا قرأت سرى فيها قرانى
ارى فى النوم سيفا اوسنانا فاسلح فى الفراش على المغانى

ومثله

وهم تركوك اسلح من حبارى رأت سقراً او اشرد من ظليم

والجبناء اقسام ومنها النذالة وهى الجرائة على الصديق والنكول عن العدو وليس هذا محلها

مضحكة

اتى الحجاج برجل من اصحاب ابن الاشعث فقال له اسئلك ان تقتلنى وتخلصنى فقال له ولمه فقال انى ارى كل ليلة فى المنام انك تقتلنى وقتلة واحدة خير لى من هذه التى اخافها فضحك وخلى سبيله

لقد خفت حتى لو تمر حمامة لقلت عدو او طليعة معشر

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ﴾ فالجبنا مذمومون عند الله وعند رسوله وعند الناس اجمعين .

الباب الخامس

فى

وجوب الطاعة لاولى الامر

لقوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ﴾ معنى الآية اجمالا ﴿ يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ﴾ بامتثال جميع اوامره والاجتناب عن جميع نواهيه فان المؤمن الكامل هو الذى يتحلى بلباس التقوى ويتخلى عن غوايش المعاصى والشهوات ﴿ واطيعوا الرسول ﴾ يعنى اطيعوا سيد الكونين وشفيع من فى الدارين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جميع ماجاء به ومجموع ماشرعه

من الاحكام لانه صلى الله عليه وسلم ماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ﴿ واولى الامر منكم ﴾ وهم امراء الاسلام والعلماء الاعلام وقد اختار الله تعالى خلقا من خلقه بعد انقضاء رسله فخصهم بالولاية على خلقه وامر العالم باطاعتهم كما امر باطاعة رسله واوجبها عليهم لما قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وبهذا علم وتبين جلالة قدر السلطنة الاسلامية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى اذا اراد ان يجعل عبدا للخلافة مسح بيده على جبهته) . وقال صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى اذا اراد ان يخلق خلقا للخلافة مسح بيده على ناصيته فلا يقع عليه عين الا احبته). وقال صلى الله عليه وسلم (اذا اراد الله بقوم خيرا ولى عليهم حلمائهم وقضى بينهم علمائهم وجعل المال فى سمحائهم واذا اراد الله بقوم شرا ولى عليهم سفهائهم وقضى بينهم جهالهم وجعل المال فى بخلائهم) ﴿ واقول ﴾ يندرج فى اولى الامر الخلفاء والولاة والقضاة والعلماء وامراء السرية والدليل على ذلك ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال (اولو الامر الامراء والولاة) . وعن ابى هريرة رضى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اطاعنى هم فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى). وعن ابى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول (اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم) . وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر (اسمع واطع ولو لعبد حبشى كأن رأسه زبيبة). قال امير المؤمنين على رضى الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يطيعوه ويسمعوا. وقال ابن عمر رضى الله عنهما اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر واذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر . وقال كعب الاحبار رضى الله عنه مثل الاسلام والسلطان مثل العمود والفسطاط فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاوتاد الناس ولا يصلح بعضها الا ببعض فيجب علينا النصيحة لقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة) قالوا لمن يارسول الله قال (لله ولرسوله ولاولى الامر

منكم) ﴿ اقول ﴾ اما نصح الامام فلزوم طاعته وهو فرض واجب واص لازم ولا يتم الايمان الابه ولا يترتب الاسلام الا عليه وقد علمت ماحل فى البلاد والعباد ، من زمان السلطان عبد المجيد . الى ساعة التسويد . من الفشل والخديعة والمكر والكذب والبهتان للسلطان فهؤلاء كفار . ومأواهم النار . وبئس القرار . لقوله صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) وفى حديث (من غش المسلمين فليس منهم)

وصية ابن عباس رضى الله عنهما

قال لا تغشين للامير سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تطوين عنه نصيحة ولا تغتابن عنده احدا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى زين السماء بالشمس والقمر والكواكب وزين الدنيا بثلاث بالعلماء والمصر والسلطان العادل) . وقال صلى الله عليه وسلم (اقرب الى الله يوم القيامة مجلسا امام عادل) . وقال صلى الله عليه وسلم (السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم) ﴿ واقول ﴾ ان السلطان والحاكم كل واحد منهما سبب لنظام العالم اذ هو الذى يرفع الظلم والجور عن المظلوم ويظهر الحق ويبطل الباطل ويصون اعراض المسلمين وينصر المؤمنين ويسد الثغور ويدفع سطوة الكفار واهل الفجور ويكسر سورة اهل البغى والعدوان ويخمد اهل السفه والطغيان . وقد ورد فى كلام بعض العلماء المتقدمين حيث قال الحاكم فى البلد كالروح فى الجسد . وامام عادل . خير من مطر وابل . وامام غشوم . خير من فتنة تدوم . والامام هو القطب الذى عليه مدار امور الدارين وهو حمى الله فى بلاده . وظله الممدود على عباده . وبه ينتصر مظلومهم . وينقمع ظالمهم . ويأمن خائفهم قال الله تعالى ﴿ الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة ﴾ الآية وقال الله تعالى ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ﴾ ومنافع الامام العادل تعجز عنها الاقلام ولا يحيط بها عقول ذوى الافهام

فصل فى العدل

اعلم ان العدل هو صلاح العالم اذ هو اساس الدين وبقى عليه نظام الملك قال الله تعالى ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ وقال الله تعالى ﴿ الله الذى انزل اليك الكتاب بالحق والميزان ﴾ فالعدل هو ميزان الله فى الارض اذ به ينتصف المظلوم من ظلمه كما مر آنفا وبه يأخذ للضعيف من القوى وبه يتميز الحق من الباطل وهو صفات الذات ولم يخلق الله تعالى فى الارض افضل من العدل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ احب الناس الى الله واقربهم السلطان العادل وابغضهم الى الله وابعدهم السلطان الجائر). وقال صلى الله عليه وسلم (عدل السلطان يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة) وفى رواية (عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين) وفى رواية (سبعين) . وقال صلى الله عليه وسلم (السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم) . وقال صلى الله عليه وسلم (اذ كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ الا ظل الله عز وجل يستظل به سبعة سلطان عادل فى رعيته) فبدأ من السبعة بالامام العادل . وقال صلى الله عليه وسلم (لعمل الامام العادل فى رعيته يوما افضل من عبادة العابد فى اهله مائة سنة) . وقال صلى الله عليه وسلم (والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل رعيته وكل صلاة يصليها تعدل سبعين الف صلاة) . وقال صلى الله عليه وسلم (العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان للخاص والعام) .

ولقد صنفت كتابا حافلا بهذا الموضوع وما انتشر وكل مباحثه كانت على سبيل الخيال وذكرت منها خيالا واحدا وهو هذه تعليمات على سبيل الكنايات . وقد سيقت بخيالات . وسبقت بعبارات . ثم لما انكشف اللثام . عن محيا الظلام . وشمشعت انوار الفجر . وشرعت ارباب الطاعات فى وظائف الذكر . واديتا صلاة الصبح مع الجماعة . وقعدنا نذكر الله تعالى عقيبها قدر ساعة . مسرعين الى الشيخ حسب العاده . نؤمل منه تكميل النصيحة وتتميم الافاده . فاتيناه فوجدناه جالسا مستقبل الباب. كأنه ينتظرينا الرجوع والاياب. فسلمنا عليه تسليم الخاشعين.

وجلسنا لنصايحه سامعين. فقال ياولد قلبي. وحشاشة لبي. اذا دار فلك دوائرك على قطب العداله . واستمر نهيك اوامرك جاريا على نهج الشريعة بلا عطاله . انتخب لك عالما من العلماء الاعلام. يكون قاضيا ومنفذ الاحكام. يكون سنه واصلا حد الكهولة غير اعزب. فان هذا هو الانزه له والاليق والانسب. وان يكون كثير العلم . سريع الفهم. عربي اللفظ . شديد الحفظ . عزيز الادب. متبحرا في مسائل القضاء فاصلا للخصومات بلا ضرر ولا اعتداء . وموصلا لكل ذي حق حقه ولا يأخذ منه عوضا ولا يطلب جزاء . وان يكون باذلا جهده في محافظة اموال الايتام . وان يكون ماهرا في قسمة المواريث وتصحيح السهام . وان يكون في قضائه عفيفا عليما رحيما امينا . وفي مسائل الشريعة صلبا قويا متينا . وان يجلس من وقت الضحوة لي وقت الاصيل. وان لا يؤخر حكما ثبت عنده بالاقرار او بالبينة الواضحة التعديل. فانه يقع في التهمة بسبب التأخير. الا اذا كان لرجاء الصلح بين الاقارب لكن بزمن يسير. وان يتباعد عن قبول الهدية والدعوه . وان يحرم على نفسه تناول الرشوه . وان ينظر في احوال المسجونين. وان ينصب قيما للتصرف في اموال المجانين. وان يكون عارفا بطرق رفع الدعاوى وتناقض التقريرات. وان يسوى بين الخصوم في الوقوف وبالتخاطب عند المرافعات. وان يفرغ وسعه في رد المفاسد وجلب المصالح ورد المظالم. وان يحكم بالحق ولو على من والاه ولا يخاف في الله لومة لائم. وان لا يستنكف عن الرجوع في بعض المسائل الى العلماء . والاحسن ان لا يبقى اكثر من سنة في القضاء

ثم ياولدي . وفلذة كبدي . ينبغي لك ان تتخذ لك معينا متصفا بهذه الاوصاف . وان يكون القاضي والمفتي سالكين سبيل العدل والانصاف . مجتنبين عن طريق الجور والاعتساف . ولابد وان يكونا متظاهرين بالتقوى والعبادة . وان يكون كل منهما باذلا في الدعوى جهده واجتهاده . وان لا يفتي المفتي نهاره بغير تحقيق مسائل الافتاء وان لا يضيع اوقاته في الطواف . على مجالس الاشراف. والاتصاف بوصف الجهلاء . بل يكون معينا للقاضي على القضاء . واخذا بيده من السقوط في هاوية الاهواء . وليكن القاضي وجلا حذرا من الوقوع في الفتنة . اذ قد ورد قاضيان في النار وقاض في الجنه . وهذا ايها الخيال . جميعه

بطريق الاجمال . واما بطريق التفصيل . فيورث الملل و يقتضى الزمان الطويل . ومن لم يقنع بالاختصار . لم ينتفع بالتطويل . ولو تلوت عليه التوراة والانجيل

فها انا ياولدى اوصيك بالحمية . فان فيها للانسان قوام البنية . فلقد سمعت ان المعدة بيت الداء . وان الحمية رأس كل دواء . فاوصى الحكام لحم . باية عن الحرام . ولاترخ ابدا لهم الزمام . وتفحص عن احوالهم بالمراقبة على الدوام . واجعل نظرك فى الدوائر . والمحاكم خشية ان تدور عليهم الدوائر . بسبب المظالم لان السبب الموثر فى مرضى عالمك . انما هو من سوء معاملة اهل محاكمك . وان شئت ان تكشف عن حقيقة هذه الاشياء فانظر فى احوال المأمورين والخدام والكتاب والاعضاء . فاما الخدام فانهم اذا ذهبوا الى جلب احد المتداعين ليلزموه . اخذوا منه بعض الدراهم وهزموه . واما الكتاب فانهم متى طلب منهم كتابة الحجة اوالاعلام . توانوا فى ذلك وتعللوا الى ان يقبضوا من الطالب المرام . واما الاعضاء فى المجالس . فانهم متكئون فيها كالعرائس . لايجلسون فيها غير ساعة اوساعتين من النهار . وارباب الدعاوى بين ايديهم فى الانتظار . تحسبهم يتقلبون على جمرات النار . واذا آلت المسئلة الى الحكم بين اهل الدعاوى والحقوق والجنايات اطالوها الى ان تقع الخصوم فى علة الدقه ويدخلون رقبتهم فى ربقة الرق . ليتحصل لهم الاغراض وقطف الثمرات . ومثل هذه المعاملات معيبات فى جميع الملل . وصاحب هذه الاخلاق غير لائق لخدمة واحدة من الدول . حيث ان الواجب على من يتولى امرا من امور المخلوق ان يكون الكبير والصغير والحر والعبد والشريف والوضيع والقريب والبعيد والمسلم والكافر عنده سواء فى سائر الحقوق . وان يكون لهم كالحجر المغناطيس . تجتمع كلمتهم عليه ولا ينفضوا ويظهر لهم العفو والرأفة ويسعى لهم فى رفعة القدر . ويحكم فى قوله تعالى ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر﴾ فاكتف بهذا القدر . ففيه العبر . وان كان قليلا . فانه يشفى عليلا . ويبرد غليلا . وما قل وقر . خير مما كثر وفر . وملاك جميع ما تقدم بالقانون الذى ليس فيه اشتباه . هو انه اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه واذا حصلت له الولاية على العباد . وطلب من الله الهام الصواب والسداد . واته العناية الالهية واحتفته الامداد فاقبل

على صالح الاعمال . وامسك عن المقال ، واذهب الى الرحال . فقد حال من شمس الارتحال . فقمنا وقد غشانا الظلام . وختمنا مه الكلام . فانتبهنا من المنام . واذا الصفوف قد اصطفت للصلاة مع الامام

خاتمة الخيال فى بيان الحال المشتملة على ثلاثة فوائد كالفرائد

الفريدة الاولى

ثم لما صلينا مع الامام الصلاة المكتوبة . سارعنا على العادة الى سماع تعليمات الشيخ المطلوبة ورأينا مائدة العلم لديه منصوبه . فسلمنا عليه وقبلنا يديه . وقد صفت قلوبنا لمصادفة مطلوبنا . فتوجه الينا . واقبل بكليته علينا . وقال وفقكم الله تعالى الى تمهيد البلاد . واخذ بايديكم واوقع لكم القبول فى قلوب العباد . فاسمعوا وعوا فانى بالامثال . اكشف لكم عن حقيقة الحال . وابسط لكم الحكاية . لتتضح لكم طرق الهداية . ولقد بلغنى ان بعض المتقدمين قد كشف له عن سرداب عظيم . وفى داخله تخت منصوب جسيم . وفوقه شخص مضطجع ميت . كأنه رجل نائم فى البيت . وعليه لباس فاخر . وعند رأسه لوح ظاهر . مكتوب عليه هذا ارسطاليس الحكيم ، مؤيل القرب من الغفور الرحيم . والى جنبه كرة مثمنة من الذهب . منقوش على كل ضلع منها كلمة من الحكمة تنفع العجم والعرب . يتعلق آخر الاولى باول الثانية . وفيها الارشاد والهداية . والانقياد من الظلال والغواية وهى هذه . العالم بستان سياجه الدولة . الدولة سلطان تحفظه السنة . السنة شريعة يحفظها الملك . الملك راع يعضده الجند . الجند اعوان يكفلهم المال . المال رزق يجمعه الرعية . الرعية خدمة يتعبدهم العدل . العدل مألوف به صلاح العالم . ولما رأيت هذه الحكم جالية من غياهب الشكوك . ونافعة لدوام ملك الملوك . احببت ان ادخلها فى سلك النظم . واجعلها قاعدة يبنى عليها الحكم . فحررها فى دفترك . لتكون مطمح نظرك . وهى هذه

تأمل ايها الملك الكريم ... بما قد قال بهرام الحكيم
يدوم الملك فى عز اذاما ... تولى حكمه الشرع القويم

وترويج الشريعة فى مليك يسدد امره الجند العظيم
وهذا الجند يجمعه نوال ويجمع ذلك المال العموم
ويأتلف العموم من الرعايا اذا التعمير بينهم يدوم
وان اساس تعمير بعدل وفى فقدانه يوم تحوم
ومن عين الوزارة مستفاض به حكم الامارة مستقيم
ويبدى العدل عمال كرام ويبدى غيره الحب اللئيم
وان طاف البلاد مليك قوم لعمرى ذلك الملك الرحيم
ويفرح بل يعزبه ذليل ويحزن بل يذل به ظلوم
ودولة مثل ذا دامت بعز وفى معكوس ذا الحال الوخيم

فلقد علمت مما قدمناه اليك . وتلوناه مرة بعد اخرى عليك . مما اتضح لك به الحال . واستغنيت به عن ضرب الامثال. ان العدل هو السراج فى هذا العالم . وبه يحصل الائتلاف بين بنى آدم . وتحتاج اليه كل دولة لاجل بقائها ودوامها . وبه يحصل لها كمال السطوة والصولة . لبلوغ آمالها وظهورها على اعدائها . فينبغى لك المحافظة التامة على بقاء هذا النور . الجالب للرعية الفرح والسرور . بمداراته عن موجبات الاطفاء . وسدكوى الاهواء . فانه متى فقد هذا النور اعقبه الظلام . وتشوش العالم وتشتت وظهر فيما بينهم خروق لا تقبل الالتئام . وانتشر ظلام الظلم ففشى الخاص والعام . والتبس عليهم الطريق . وضيعوا سبيل التحقيق . فتفتر النفوس عن الطاعات . وتحيل الى المعاصى والسيآت . وحينئذ ترتفع البركات من الارض . ويظهر النقص فى طولها والعرض . من الاموال والانفس والثمرات . وقلة الحرف والصناعات . وربما صارت عمر تلك الدولة بهذا السبب قصير . اوعظم مصيبتها لغور الهمم كسير . واذا توهنت عصبية دولة فقد استولت عليها الاشرار والاعداء . ورجعت الى حال المرض واحتاجت الى المعالجة بادوية الجند ببذل البيضاء والصفراء . فاقبل بكليتك على قانون العدالة الوارد عن حضرة الحق باخبار حضرة الرسالة . حتى تتخلص من ظلام الظلم والجهالة . وتقوى عصبيتك وتكثر عندك اصحاب البسالة . وتخضع لهيبتك العداة . وتوافيك العناية من رافع السموات . ثم

اذا بذلت المجهود فى المحافظة على اداء الشريعة . واقامة الحدود . نادتك بشائر اللطف بان دولتك قد وصلت الى المنزلة العالية الرفيعة . وبلغت غاية المأمول والمقصود . واستظلت بكثرة المال وقوة الجنود . وسكنت الفتن . واندفعت المحن . وحصل الامان . فى كل مكان . وارتاحت العباد . واستوطنت البلاد . فتمسك حينئذ باسباب الموجبة لدواء هذه الدولة وتتبع اوامر الصادرة عنك للمأمورين . ولا تعطها غفلة واطلب العون والمدد من رب السموات والارضين . ليدفعك عنك الاعداء والخوارج والمنافقين . وسابين لك مايعينك على هذا الفتح المبين . كل ذلك بعون الملك المعين . وسوف ازيدك من فضل الله وضوحا . يكون تصريحا لاتوضيحا . فقم واطلب راحتك . ونم الليلة وخذ راحتك . وفى نهار غدا ادنى لك الكلام . وابلغك المرام . والسلام . فانتبهت من نومى . ورأيت نفسى عند قومى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته)

فكلكم راع ونحن رعية وكل يلاقى ربه فيخاصمه

وقال تعالى (وان احكم بينهم بما انزل الله) وقال الله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) وقال الله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر) فالعدل هو الانصاف من نفسك اوالاحسان الى من اساء اليك والمنكر هوما لايعرف فى شريعة ولاسنة والبغى هوالتطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان وفى الحديث (الباغى مصروع) وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى (لو بغى جبل على جبل لجعلت الباغى دكا) كما قال تعالى (ثم بغى عليه) لينصرنه الله .

موعظة

دخل شقيق البلخى على هارون الرشيد فقال له عظنى فقال ان الله تعالى قد اقامك مقام الصديق فيريد منك الصدق واقامك مقام الفاروق فيريد منك ان تفرق بين الحق والباطل واقامك مقام عثمان فيريد منك الحياء واقامك مقام على فيريد منك العدل والعلم قال زدنى قال ان لله دارا يقال لها جهنم وجعلك بوابا لها تدفع الناس عنها

واعانك بالمال والسوط والسيف وقال لك ايها العبد المأمور ادفع الخلق عن هذه الدار بهذه الثلاثة فمن جاءك فقيرا فاعطه من المال ومن لم يطع فادبه بالسوط ومن قتل نفسا ظلما فاقتص منه بالسيف قال زدنى قال انت البحر وهم الانهار فان صفوت صفوا وان تكدرت تكدروا

فصل فى القضاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة فالذان فى النار واحد منهما من يقضى ولا يعلم والآخر من يعلم فيقضى بغير الحق واما الذى فى الجنة فهو الذى يعلم ويقضى بالحق) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان مع القاضى ملكين يسددانه ويفقهانه فان عدل ارشداه واعاناه وان جار قذفاه فى النار والقاضى ينتظر المقت والمستمع يتنظر الرحمة ومن جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين) وينبغى للقاضى ان يكون يوما فى القضاء ويوما فى البكاء فان له موقفا ومذلة بين يدى الله تعالى واول من يدعى للحساب يوم القيامة القضاة . وذكر فى الخبر عن عائشة رضى الله عنها انها قالت (يؤتى يوم القيامة بالقاضى العدل فيلقى من شدة الحساب واهوال يوم القيامة مايود انه لم يكن قاضيا بين اثنين) فانظروا يا عباد الله اذا كان هذا حال القاضى العدل الذى يقضى بين الناس ابتغاء لمرضاة الله تعالى فكيف يكون حال من جار فى الاحكام . واخذ الرشوة على ظلم الارامل والايتام . ومال بالحكم على الضعفاء والمساكين من الانام . ومن لم يرشه فلا وجه له عنده ولا قدر ولا مقدار . وان كان من عباد الله الابرار . وتراه قد صانع الاغنياء والكبراء . وكان طلبه للقضاء ابتغاء لعرض الحياة الدنيا وحسن الثناء . وحب الجاه والتكاثر والعلو والرفعة على الناس والفخر والكبرياء . فهذا وان اصاب من الدنيا ماراد . فكيف يكون حاله عند الله فى المعاد

فصل فى هجو القضاة

قلت مرتجلا

قيل هلا هجوت نائب حدبا ... حين تقليده لامر النيابه

قلت اهجو ائمة قلدوه ... حيث لم يعلموا طريق الاصابه

والغياث الغياث من شر بعض القضاة الجهال المخرجين من مكتب النواب اهل الاضراس والانياب وغير جائز ان يوضعوا فى القضاء غير المخرج من المكتب وقد رأينا من شرهم ودنائتهم مايعجز عن بيانه اللسان عن التصريح والبيان

قلت

جلبت لمجلس الاحكام قومى ... اخاصمهم على ذنب الحمار
وجدت معاشر الحكام فيه ... على عكس القضيّة بانتظار
فقلت لهم بلا ذنب حمارى ... فخلونى اعود الى ديارى

وقلت

نحن الرعية قد ضاق الخناق بنا ... ونشتكى عند سلطان السلاطين
هذى القضاة كشهب النار قد نزلت ... فينا ونحن لهم مثل القرابين

غيره

قضاة زماننا صاروا لصوصا ... عموما فى القضايا لا خصوصا
يرون غنيمة مال اليتامى ... كأنهموا تلوا فيها نصوصا
خشينا منهم لو صافحونا ... ان يلصّوا من خواتمنا الفصوصا

غيره

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولا سراة اذا جهالهم سادوا
والبيت لا ينبنى الا له عمد ... ولا عماد اذا لم ترس او تاد
وان تجمع اوتاد واعمدة ... يوما فقد بلغوا الامر الذى كادوا

فصل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايقضى بين الناس الا ذو شرف فى قومه) وفى الحديث (اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظروا قيام الساعة) فهؤلاء يحكمون ظلما على العلماء الاعلام ويتأمرون على الاشراف الكرام . ويظلمون الخاص والعام . فاين نذهب والى من نقصد وبمن نرغب

الى الماء يسعى من يغص بلقمة ... الى ان يسعى من يغص بماء

غيره

يا معشر الحكام يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

غيره

كنت من كربتى افر اليهم فهم كربتى فاين الفرار

فحاميها حراميها . وسائقها سارقها والذئب الراعى

قلبى الى ماضرنى داعى يكثر احزانى واوجاعى

كيف احتراسى من عدوى لى اذا كان عدولى بين اضلاعى

فصل فى خيانة القضاة

اذا خان الامير وكاتباه وقاضى الارض داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضى الارض من قاضى السماء

وتفوض الامر الى ملك الملوك . من ظلم الظالمين . وبالله نستعين . انه خير معين

وحق الله ان الظلم لؤم وان الظلم مرتمة وخيم

الى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

قال من بيده تصاريف الامور ﴿ وما الحيوة الدنيا الى متاع الغرور ﴾ فعليكم بالعدل والاحسان . لقول سيد الكونين (كما تدين تدان) فلا تغتروا بما عندكم . فكل من عليها فان . وقوله تعالى (ماعندكم ينفد وماعند الله باق)

فصل

وداروا رعاياكم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (علمنى ربى بعد الايمان مدارات الناس) . وقال صلى الله عليه وسلم (نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم) . وقال صلى الله عليه وسلم (مدارات الناس صدقة)

فصل من سعى فى طلب الامارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة (يا عبد الرحمن لا تسأل

الامارة فانك اذا سألتهما وكلت اليها اوذا سئلتها اعنت عليها) ولما اراد المنصور ان يولى الامام اباحنيفة رضى الله عنه القضاء فقال لا اصلح لذلك فقال انك تصلح فقال ان كنت صادقا فلا يجوز لك ان توليني وان كنت كاذبا فقد فسقت فقال والله لتلين فقال والله لاوليت فقال حاجبه امير المؤمنين يحلف وانت تحلف فقال امير المؤمنين اقدر على الكفارة مني. قيل لشريح كيف اصبحت قال اصبحت ونصف الناس على غضبان. ان نصف الناس اعداء لمن. ولى الاحكام هذا ان عدل. قال رجل لشريح رحمه الله حكمت علىّ بالجور وليدخلنك الله النار قال اذا يدخلها سبعة قبلي من ولاني ومن علمني ومن جاء بك مدعيا والشاهدان والمزكيان. فيلزم على القضاة التسوية بالمحاكمات والعدل بين الناس والاجتناب عن الباطل والجور قال الله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ﴾ وقال الله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وان احكم بينهم بما انزل الله ﴾. قال ابو وائل سمعت عمارا في بعض القضاة كان كافرا فقلت ماقولا، قال ان الله تعالى يقول ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ﴾. وكتب امير المؤمنين عمر رضى الله عنه الى قاض يأمره ان احكم بين اهل الحق بالحق ينفعك يوم الحق. وقيل لاينبغي للحاكم ان يسمع شكية احد الخصمين دون الآخر. وفي المثل من يأتي الحكم وحده يفلح. اتى المأمون برجل وجب عليه الحد فامر بضربه حدا فقال قتلتني فقال الحق قتلك قال ارحمني قال لست بارحم ممن اوجب عليك الحد. وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة جزاك الله خيرا فقد سويت بين الناس حتى كأنك من كل احد وكأنك لست من احد. وقال بعضهم غصبني بعض قوادالاتراك ضيعة ايام المعتز فتظلمت اليه فلم ينصفني فلما ولي المهتدي وجلس يوما للمظالم قصصت فاحضر خصمي فقضى لي عليه فقلت جزاك الله خيرا فقال يقول الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيمة ﴾ ثم بكى وبكى اهل المجلس. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن (بما تحكم) قال بكتاب الله قال (فان لم تجد) قال بسنة رسوله قال (فان لم تجد) قال اجتهد برأي هكذا ينبغي للحكام

فصل

لايجوز اخذ الهدية للحكام لقوله تعالى (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما) . وتخاصمت امرأة من بني امية مع رجل الى امير المؤمنين عمر رضي الله عنه وكانت المرأة قد اهدت الى عمر فخذ جزور وقالت افصل القضاء بيننا كما يفصل الجزور فقضى امير المؤمنين عمر عليها وقال اياكم والهدية

فصل في دناءة القاضي

تخاصم رجلان الى قاض فدنا احدهما منه وقال قد وجهت الى دار القاضي فراريج ككرية وحنطة بلدية وشهد رومية فقال القاضي بصوت رفيع قم يا بارد اذا كانت لك بينة غائبة فانتظرها ليس هذا مما يسار فيه ولقد احسن من قال

يا خليلي يا ابا الغيث دراك ... نصب القاضي لك اليوم شرك
طلب البرطيل فابذله له ... يسكت القاضي والا ذكرك
لا يهولنك من دنيته ... اعطه من رشوة ما احضرك

ثم اهدى اعرابي قاضيا فقال يقضي بالعشوة ويطيل النشوه . ويقبل الرشوة

نحن الرعية قد ضاق الخناق بنا ... ونشتكي عند سلطان السلاطين
هذي القضاة كشهب النار قد نزلت ... فينا ونحن لهم مثل القرايين

وقد مر آنفا

اذا اهل الرشا صاروا اليه ... فاحظى القوم اوفرهم بضاعه
فلا رحم يقربهم اليه ... سوى الورق الصحيح ولا شفاعه
وليس بمنكر هذا لديه ... لان الشيخ افلت من مجاعه

وجائت امرأة الى قاض فقالت مات زوجي وترك ابويه وولديه وامرأة واهلا وله مال فقال القاضي لابويه الثكل ولولديه اليتم ولامرأته الخلف ولاهله القلة والذلة والمال يحمل الينا حتى لاتقع بينكم الخصومة

فصل فى الظلم

وهو من اكبر الكبائر لقوله تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ آيات الظلم كثيرة فى القرآن ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ . وقال تعالى (ان الله لايظلم الناس شيأ ولكن الناس انفسهم يظلمون). حديث قدسى يقول الله تعالى (انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)

موعظة مخوفة

واعلم انك اذا لقيت الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه اهون عليك من ان تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين الناس وليس شئ اسرع لنزع الايمان من مظالم العباد. قال بعض العلماء ثلاثة تنزع الايمان الظلم لاهل الاسلام وترك الشكر على نعمة الاسلام وعدم الخوف على ذهاب الاسلام

فصل فى الشكر

واعلم ان النعمة يجب شكرها والشكر هو صرف العبد جميع ما انعم الله عليه لما خلق له والنعم كثيرة لقوله تعالى ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ الآية. فالولاية على الرعية نعمة من اكبر النعم يجب فيها العدل وترك الجور والظلم. هذا هو شكرها لان ولى الامر اذا عامل الرعايا بالعدل وبسطه فيهم واجتنب الجور ونفاه عنهم دام ملكه فالعدل شكر نعمة الولاية كما عرفت لقوله تعالى ﴿ ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ﴾ عواقب البغى لها مصرع . تنزل السلطان من عرشه. اذا طغى الكبش بشحم الكلى . ادرج رأس الكبش فى كرشه . فتنزع الولاية من يده بالجور والظلم لان النعمة اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت والدليل على هذا ان السلطنة والدولة

والارض والاموال والامارة والولاية على الناس كانت للعرب خاصة دون غيرهم من العجم والترك وتفرقوا ايدى سبا بعد ان كان العز والشوكة والملك والصولة لهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم لانهم منه كما هو محقق وحبهم واجب بوصيته صلى الله عليه وسلم على محبتهم بنصوص عديدة ولما لم يشكروا النعمة وكفروها بعد الخلفاء الراشدين الاربعة بقتل بعضهم بعضا وتقديم المفضول على الفاضل وغير المستحق على المستحق عنادا ونفاقا وسلب بعضهم اموال بعض سلب الله السلطنة منهم ونقلها الى غيرهم كما قال تعالى ﴿ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾ فبقوا تحت قهر الملوك. قال العارفون الملك يدوم بالعدل ولو كان الملك كافرا والملك بالجور والظلم يزول ويفنى ولو كان الملك مسلما

حكمة

العدل ان دام عمّر والجور ان دام دمّر

عليك بالعدل ان وليت مملكة ... واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك بالعدل يبقى دائما ابدا ... ولا يدوم الملك بجور فى مدالعصر

فينبغى للامام استعمال العدل مع الرعية واجتناب الجور فى كل قضية لقوله تعالى ﴿ واشكروا لى ولاتكفرون ﴾ فان الشكر يدفع بلاء وعقوبة الاخرة لقوله تعالى ﴿ مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ﴾ ويجلب ازدياد النعمة كما مر آنفا ﴿ ولئن شكرتم لازيدنكم ﴾ الايات وقوله تعالى ﴿ اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ﴾. روى ان داود عليه السلام قال الهى أأشكرك وشكرى لك نعمة من نعمائك فاوحى الله اليه الآن شكرتنى

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... علىّ له فى مثلها يجب الشكر

فليس بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر

فمالى عذر غير انى مقصر ... وعذرى فى التقصير ان ليس لى عذر

وقال الله تعالى ﴿ يا دود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ﴾ الاية. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اذا

وأيت ظالما قد رفعته الدنيا فلا تغبطه بذلك فلابد له من احد الامرين اما ان اسلط عليه ظالما اظلم منه واما ان الزمه ردالتبعات يوم القيامة وقد جعل فى عنقه طوقا ويكوى بكل تبعة لاستحقرت ما رأيت عليه من زينة الدنيا ان ظلم بدرهم كويته به وان ظلم قرية اومدينة جعلتها فى عنقه طوقا من نار فحاسبوا انفسكم وانصفوا الناس). وذكر عن ابى امامة رضى الله عنه انه قال يجئ الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ظلامته عنده فيتعلق به فما يبرح الذين ظلموا حتى ينزعوا ما بايديهم من الحسنات ثم يتردوا فى النار. عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ما من امير ولا قاض ولا حاكم عشيرة الا يحشر يوم القيامة ويداه مغلولتان الى عنقه فان كان عدلا اطلقه عدله وان كان غير ذلك اشتد وثاقه. قال صلى الله عليه وسلم (ان الله يملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته) ثم قرأ قوله تعالى (وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد). وعنه صلى الله عليه وسلم (من ظلم لاخيه شبرا من ارض طوقه الله يوم القيامة من سبع ارضين فاتقوا دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب)

عن بعض العلماء انه قال اياكم والهوى فيفارقكم الايمان ولاتسؤا الظن باحد من خلق الله فلا يستجاب لكم دعاء ولاتخوضوا فى الباطل فيصمكم البلاء ولا تظلموا احدا من خلق الله فان له جنة لايدخلها ظالم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ربكم وعزتى وجلالى لانتقمن من الظالم فى عاجله ولانتقمن ممن رأى مظلوما فقدر ان ينصره فلم ينصره) . وقال صلى الله عليه وسلم (الظلم ظلمات يوم القيامة)

سئل عظيم الروم قيصر كسرى نوشروان العادل بم دام ملكك ودانت لك الرقاب قال باربعة خصال ما اخلفنا بوعد ولا وعيد ولم نفعل امرا الا بعد المشورة مع ذوى العقول وقربنا ذوى الاصول وقدمنا على الشباب الكهول ولم نعاقب الاعلى قدر الذنب لا بحسب غضبنا فلما سمع قيصر ذلك اهتز طربا وقال من كانت هذه سياسته دامت رياسته فانتبهوا من سنة الغفلة وانظروا من تقدمكم من الملوك العادلين

اذا ملكت فكن بالعدل مفتخرا ... واحذر سهام الاسا في حندس الظلم
فرب دعوة مظلوم يصادفها ... اجابة بزوال الملك والنعم
لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ... ان الظلوم على حد من النقم
وان تأسرت يا هذا على بشر ... فكن شفوقا بهم كالوالد الرحم
تنام عينـاك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله لانصرنك ولو بعد حين). وفي رواية (اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس بينها وبين الله حجاب). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بالوالي يوم القيامة ويداه مغلولتان الى عنقه يرفل في قيوده حتى اذا كان على جسر جهنم امر الله الجسر فانتفض به انتفاضة خرج كل عضو من مكانه ثم يأمر الله تعالى العظام ان ترجع الى مكانها ثم يسئله فان كان مقسطا عادلا غفر الله له واعطاه كفلين من رحمته وان كان قاسطا خسف الله به يهوى في النار سبعين خريفا). وقال صلى الله عليه وسلم (خمسة غضب الله عليهم وان شاء امضى غضبه ويصيرهم الى النار امير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يساوي بينهم ويحكم بالميل والمحابات) الى آخر الحديث

الباب السادس

فيما يجب على اولي الامر وفقهم الله لكل خير منع استخدام اهل الذمة بأي مأمورية كانت مطلقا وعدم موالاتهم وتقربهم والمساواة معهم وكونهم عين وصادقين كل ذلك مخالف لامر رب العالمين وامر سيد المرسلين صلى الله عليه وسـ قال الله تعالى ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ ولا تتخذوهم احبابكم فقد اخبركم الله بانهم اعدائكم فقال ﴿ ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ﴾ فلا تأمنوهم وكونوا منهم على حذر . وقال تعالى ﴿ قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ﴾ ولا تـ هم فقد قال الله تعالى ﴿ ومن يتولهم منكم فانه منهم ﴾